

تدريس النص السردى؛ الأسس النظرية والممارسات البيداغوجية

عبد المجيد صدار

دكتوراه في النقد الأدبي

جامعة ابن طفيل، كلية اللغات والآداب والفنون، القنيطرة، المغرب

ملخص

يُعدّ النص السردى من أكثر الأجناس الأدبية حضوراً في المقررات الدراسية، لما يتيح من إمكانات لغوية ودلالية وتربوية تسهم في تنمية الكفايات القرائية والتواصلية والفكرية لدى المتعلمين. ويسعى هذا المقال إلى مقارنة ديداكتيك النص السردى من خلال ثلاث زوايا متكاملة: أولها الإطار المفاهيمي والمعرفي الذي يوطر النص السردى بوصفه بنية لغوية ودلالية مركبة، وثانها الأسس والمفاهيم التدريسية التي تقوم عليها عملية تدريسه داخل الفصل الدراسي، وثالثها الممارسات البيداغوجية والتطبيقية المرتبطة بتنوع الوضعيات التعليمية، والربط بين القراءة والكتابة، واعتماد التقويم البناء. ويهدف المقال إلى إبراز أهمية الانتقال من القراءة التلقينية إلى القراءة التفاعلية والنقدية، بما يجعل المتعلم فاعلاً في بناء المعنى، وقادراً على توظيف مكتسباته في وضعيات تعليمية جديدة، داخل المادة وخارجها.

كلمات المفتاحية: النص السردى - الديداكتيك - القراءة التفاعلية - البنية السردية - التقويم البناء - التعليم الثانوي التأهيلي.

مقدمة

يُعدّ النص السردى من المكوّنات الأساسية في تدريس اللغة العربية، لما يتميز به من ثراء لغوي ودلالي وجمالي، وما يتيح من إمكانات تربوية ومعرفية تسهم في بناء شخصية المتعلم وتنمية كفاياته التواصلية والفكرية والنقدية. فالسرد، بوصفه نمطاً تعبيرياً أصيلاً في الثقافة الإنسانية، لا يقتصر على نقل الأحداث أو تصوير الوقائع، بل يتجاوز ذلك إلى تشييد عوالم دلالية متشابكة، تتداخل فيها الشخصيات والفضاءات والأزمنة، بما يجعل من النص السردى مجالاً خصباً للتأويل وبناء المعنى. غير أن تدريس النص السردى داخل الفضاء المدرسي، خاصة في التعليم الثانوي التأهيلي، يواجه جملة من الإشكالات المرتبطة بطبيعة المقاربات المعتمدة، حيث غالباً ما تُختزل القراءة في

مستوياتها السطحية، وتُمارَس بوصفها نشاطاً آلياً يركز على الفهم الحرفي للأحداث وتسلسلها، دون النفاذ إلى البنيات العميقة للنص أو استثمار أبعاده المعرفية والتربوية. وهو ما يحدّ من فاعلية التعلم، ويُضعف قدرة المتعلم على التفاعل النقدي مع النصوص السردية.

وانطلاقاً من هذا الواقع، تبرز الحاجة إلى إعادة النظر في ديداكتيك النص السردية، من خلال بناء تصور تربوي متكامل، يزاوج بين الإطار المفاهيمي والمعرفي للنص، والأسس التدريسية المنظمة لعملية التعلم، والممارسات البيداغوجية التطبيقية داخل الفصل الدراسي. فالنص السردية، في هذا المنظور، لا يُدرّس باعتباره مادة معرفية جاهزة، بل باعتباره وضعية تعليمية مركبة، تُسهم في تنمية التفكير، وصقل الحس الجمالي، وتعزيز القدرة على التحليل والتأويل والنقد.

ويهدف هذا المقال إلى مقارنة تدريس النص السردية من خلال ثلاثة محاور كبرى: يتناول المحور الأول الإطار المفاهيمي والمعرفي للنص السردية، مركزاً على بنيته اللغوية والدلالية وأبعاده التربوية؛ ويعالج المحور الثاني مبادئ تدريس النص السردية وبنيته بوصفها أداة تعليمية، مع إبراز دور القراءة التفاعلية والنقدية في بناء التعلم؛ بينما يخصص المحور الثالث للممارسات البيداغوجية والتطبيقية المرتبطة بتنوع الوضعيات التعليمية، والربط بين القراءة والكتابة، واعتماد التقويم البناء في تثبيت التعلّيمات ومعالجة التعثرات.

1- الإطار المفاهيمي والمعرفي للنص السردية وأبعاده التربوية

1-1. النص السردية باعتباره بنية لغوية ودلالية مركبة

يمثل النص السردية نظاماً لغوياً ودلالياً معقداً، يتجاوز مجرد ترتيب الأحداث وفق تسلسل زمني بسيط، ليصبح إطاراً متكاملًا يربط بين مختلف عناصر النص من شخصيات وأحداث وأمكنة وزمان، مع نسج شبكة من العلاقات الداخلية الدقيقة. فالنص السردية ليس مجرد سرد للأحداث أو نقل للوقائع، بل هو منظومة متشابكة من الدلالات والبني اللغوية التي تتفاعل مع بعضها⁽¹⁾، بحيث يتطلب من المتعلم مجهوداً معرفياً خاصاً لفهم هذه العلاقات المتداخلة، وبالتالي تطوير قدراته على التحليل والتركيب والتأويل النقدي. إن هذا المجهود الذهني ينمي لدى المتعلم مهارات

1. «من هنا أصبحت النصوص السردية تنبني على مقومين اثنين هما: القصة، أي المواضيع التي تطرحها وتعالجها، سواء ارتبطت بالواقع أو تجاوزته لتغوص في عوالم من التخيل. أما المقوم الثاني، فيخص شعرية القصة، أي البنية الداخلية وما تعكسه كل آلياتها الفنية. لذا كان لا بد لكل قصة أن تتضمن ثوابت الحكمة: أي العناصر الداخلية التي تميز هذا النمط الحكائي عن غيره من الأنماط الحكائية الأخرى، والمقصود بذلك: الأحداث والشخصيات والزمان والفضاء، والوضعية السردية، التي يتخذها السارد وهو يقدم أحداث القصة.

التفكير العليا، مثل التفكير النقدي، واستنتاج العلاقات السببية، وفهم التناقضات والدوافع الخفية للشخصيات.

تتجلى خصوصية النص السردي في تداخل الأحداث وفق منطق تحولي متسلسل؛ إذ يرتبط كل حدث بسابقه ويمهد للحدث الذي يليه، بحيث يصبح النص تجربة معرفية ديناميكية تتجاوز حدود التلقي السطحي أو الحفظ الميكانيكي. هذا الترابط الداخلي بين عناصر النص يجعل من قراءته عملية نشطة، إذ لا يمكن للمتعلم أن يكتفي بالاستماع أو بالاطلاع على محتوى الأحداث فحسب، بل يجب عليه أن يتفاعل معها، ويحلل أبعادها المختلفة، ويستخلص المعاني الضمنية التي تكمن وراء السطور. على سبيل المثال، يمكن لموقف بسيط بين شخصيتين أن يحمل دلالات عاطفية واجتماعية وسياسية متداخلة، ما يستلزم من القارئ الربط بين الأحداث والخلفيات السياقية لتكوين فهم شامل للنص.

بالإضافة إلى ذلك، تتميز البنية السردية بإتاحة تعددية القراءات؛ فالنص ليس ثابتاً في معناه، بل يفتح المجال للقارئ لتفسيره وفق معرفته وخبراته ووعيه الثقافي والاجتماعي. هذه التعددية تعكس مرونة النص وقدرته على التفاعل مع عقل القارئ، إذ يمكن لكل متعلم أن يكتشف مستويات مختلفة من المعنى، بعضها ظاهر وسهل الاستنتاج، وبعضها يحتاج إلى تحليل دقيق لتفسير الرموز والإيحاءات والمواقف. وهكذا، يصبح النص السردي مساحة لتطوير الذكاء النقدي والإبداعي لدى المتعلم، من خلال قدرة القارئ على ملاحظة التفاصيل الدقيقة، وتحليل التحولات الزمنية والمكانية، واستنتاج الدوافع النفسية للشخصيات، وفهم وظيفة كل عنصر في البناء الدلالي للنص، بما يساهم في تطوير مهارات التركيب والتحليل والتأويل بشكل متكامل.

علاوة على ذلك، يتيح النص السردي للمتعلمين فهم العلاقات بين اللغة والدلالة، إذ أن اختيار الكلمات والأساليب اللغوية وصياغة الجمل ليس عشوائياً، بل يخدم الغرض السردي ويؤثر في بناء المعنى العام للنص. فاللغة السردية تتسم بالقدرة على التلميح والإيحاء، واستخدام الاستعارات والصور الذهنية والتقنيات البلاغية التي تضيف عمقاً للنص، ما يحفز المتعلم على قراءة النص بعناية، ومقارنة الأبعاد المختلفة للأحداث، وتفسير السلوكيات الإنسانية وفق المنطق الداخلي للنص. كما أن النص السردي يربط بين الواقع والتخييل، فهو يعكس أحياناً الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع الذي ينتمي إليه الكاتب، ويتيح للمتعلم فرصة التفكير في العلاقات بين الفرد والمجتمع، وفهم القيم والمعايير الإنسانية المتنوعة، من خلال منظور أدبي وفني متكامل.

باختصار، يمكن القول إن النص السردي ليس مجرد مادة للقراءة، بل هو أداة تربوية وثقافية، تنمي لدى المتعلم قدرة التفكير النقدي والتحليلي، وتعلمه كيفية الربط بين الأحداث والشخصيات والزمن والمكان، مع التمكن من استخراج المعاني الضمنية والتأويلية، مما يجعل القراءة تجربة

معرفية حيوية تتجاوز حدود الحفظ والتلخيص، وتفتح المجال لتفاعل نشط وبنّاء مع النص، يثري إدراك المتعلم ويطور مهاراته الفكرية واللغوية والمعرفية بشكل شامل.

1-2. الشخصيات والفضاء السردي ودورهما في بناء المعنى

في النص السردي، لا تُعد الشخصيات⁽¹⁾ مجرد أسماء أو أدوات لسرد الأحداث، بل هي كيانات لغوية ودلالية متكاملة تتحرك ضمن سياق النص، وتحمل بين طياتها القيم والدلالات التي يسعى الكاتب إلى إيصالها. فالشخصية السردية ليست مجرد هيئة جسمية أو دور محدد في الأحداث، بل هي تجسيد لمجموعة من السمات النفسية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي تُظهر الصراع الداخلي والخارجي وتفسر دوافعها وسلوكها. ومن هذا المنظور، يصبح تحليل الشخصيات أداة معرفية أساسية للمتعلم، إذ يمكنه من إدراك أبعاد الشخصية المختلفة: السمات الجسدية (مثل المظهر، والعمر، والملابس)، والسمات النفسية (مثل النزاعات الداخلية، والتحويلات العاطفية)، والسمات الاجتماعية (مكانتها في المجتمع، علاقاتها بالآخرين)، والسمات البيئية والثقافية التي تؤثر في سلوكها، وعلى هذا القياس، «فتتم دراسة هذا المكون السردى من خلال تركيز المتعلم في البداية على جرد الشخصيات وتصنيفها إلى آدمية وغير آدمية، مركزية وثانوية، قبل أن يقوم برصد سماتها الجسدية والنفسية والاجتماعية انطلاقاً من النص على النحو الآتي:

- سمات جسدية: يرصد المتعلم من النص بعض السمات، التي تصف المظهر الخارجي للشخصيات المركزية، من قبيل: شعر مجعد- قامة طويلة - شاربان شركسيان - عينان سوداويتان - في مقتبل العمر - يد ناعمة...

- سمات نفسية: سريع الانفعال - متفائل - غامض - حزين - سيء المزاج - طباعه حادة - متوترة مشاغبة...

- سمات اجتماعية: ميسور الحال - فقير - غني - عامل - موظف - ملك - خادم - وزير - بورجوازي - متوسط الدخل...»⁽²⁾.

إن تحليل هذه السمات يتيح للمتعلم فهم الدوافع البشرية واستشراف النتائج المترتبة على قرارات الشخصيات، وهو ما يجعل القراءة تجربة معرفية ديناميكية تتجاوز مجرد تلقي الأحداث.

1. يعتبر مفهوم الشخصية من العناصر المركزية داخل العمل السردى. ومن ذلك حظوتها بغير قليل من الاهتمام داخل أنساق الدراسات النقدية الحديثة. إن الشخصية مجموعة من العلامات والبنىات، التي تستمد وجودها وكيانها المستقل من داخل النص، وهي بذلك تتطلب أن ينظر إليها في ذاتها ومقوماتها التي تمنحها صفتها الشخصية المميزة وتكتسبها في علاقاتها مع غيرها من الشخصيات التي يزخر بها النص الحكائي.

يقطين سعيد، قال الراوي، البنىات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص88.

2. البوعزاوي خديجة، تدريسية النص السردى في ضوء القراءة المنهجية، مرجع سابق، ص233-234.

على سبيل المثال، في نص سردي عربي عن شاب يقرر الهجرة، قد يظهر تحليله النفسي كيف تتقاطع الطموحات الشخصية مع القيود الاجتماعية، كما يوضح تأثير المحيط الثقافي والاقتصادي على قراراته، مما يمكن القارئ من تطوير حس نقدي وفهم أعمق للطبيعة الإنسانية. ومن هذا المنظور، يمكن القول إن الشخصيات في النص السردى تعمل كبنية محورية ترتبط بها الأحداث الأخرى، فالتحولات النفسية للشخصيات تؤثر في مسار الأحداث، وتوجيه انتباه القارئ نحو قيم ومعاني معينة، وتكشف عن أبعاد رمزية أو أخلاقية تتجاوز الحكى المباشر.

1-2-1. دور الزمان والمكان في الفضاء السردى

يُضاف إلى الشخصيات عنصران أساسيان يشكلان الفضاء السردى للنص: الزمان والمكان، اللذان لا يقتصران على كونهما ظرفاً للأحداث، بل يعملان كأبعاد دلالية تؤثر في بناء المعنى وتوجيه تفسير القارئ للنص.

أ- الزمان السردى

الزمان في النص السردى يمكن أن يكون خطياً أو متقطعاً، مستمراً أو متغيراً⁽¹⁾، ويعمل على خلق إيقاع سردي يحدد سرعة أو بطء تطور الأحداث، ويؤثر على طريقة تلقي القارئ. فالزمن يعكس التحولات النفسية للشخصيات؛ على سبيل المثال، مرور السنوات في حياة شخصية رئيسية قد يوضح نضجها أو صراعاتها الداخلية، أو الانتقال المفاجئ بين الماضي والحاضر (فلاش باك) يكشف أبعاداً خفية في تصرفاتها ويضيف بعداً نفسياً أو اجتماعياً للنص. كذلك، يمكن للزمن أن يعكس التحولات الاجتماعية أو التاريخية، مثل أحداث ثورية أو تغييرات مجتمعية، فيربط بين الفرد والمجتمع ويضفي على النص عمقاً ثقافياً وتاريخياً.

ب- المكان السردى:

المكان ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر فعال في بناء المعنى والدلالة. وصف الأماكن وتفاصيلها يعكس البيئة الاجتماعية والنفسية للشخصيات، ويساهم في تكثيف المشهد الدلالي للنص. على سبيل المثال، تصوير حي فقير في نص عربي قد يعكس الصراعات الاقتصادية والاجتماعية للشخصيات، بينما تصوير قصر أو بيئة مرفهة يعكس امتيازات أو قيود الشخصيات. المكان يمكن أن

1. إن الإمكانات التي يتيحها التلاعب بالنظام الزمني لا حدود لها ذلك أن الراوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة، ولكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة. وهناك إمكانية استباق الأحداث في السرد بحيث يتعرف القارئ إلى وقائع قبل حدوثها الطبيعي في زمن القصة وهكذا، فإن المفارقة إما أن تكون استرجاعاً لأحداث ماضية (Rétrospection) أو تكون استباقاً لأحداث لاحقة (Anticipation).
لحميداني حميد، بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص74.

يكون أيضًا رمزياً، مثل الغابة التي تمثل الخطر أو المجهول، أو البحر الذي يرمز إلى الحرية أو الرحيل، ما يجعل القارئ يربط بين الفضاء المادي والدلالات الرمزية للشخصيات والأحداث.

1-2-2. تفاعل الشخصيات مع الفضاء السردى

تحليل الشخصيات دون دراسة الزمان والمكان يكون ناقصاً، إذ إن تفاعل الشخصيات مع بيئتها السردية يكشف عن علاقات معقدة بين الأفراد والمحيط. فقراءة شخصية تتعامل مع أزمة اقتصادية أو صراع اجتماعي تتطلب فهم البيئة الزمنية والمكانية التي تشكل سياقاً لهذه الأفعال⁽¹⁾. على سبيل المثال، شخصية تواجه القيود التقليدية في مجتمع محافظ تتطلب دراسة النص لفهم كيف يؤثر هذا المكان والزمن على خياراتها وسلوكياتها، وبالتالي يصبح القارئ أكثر قدرة على ربط القرارات الإنسانية بالظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية.

كما يوضح النص السردى للمتعلم أن الفضاء السردى ليس ثابتاً، بل ديناميكي، ويتغير بتغير الأحداث والشخصيات، فالمكان قد يتحول من ملاذ آمن إلى مصدر تهديد، والزمن قد يتقدم أو يتراجع ليكشف جوانب جديدة من الشخصية أو يفسر دوافعها. هذا التفاعل يجعل القراءة نشاطاً معرفياً متكاملًا، يجمع بين التحليل النفسي، والاجتماعي، والتاريخي، والتأويلي، ويطور مهارات التفكير النقدي للمتعلمين.

البعد التربوي والتعليمي

من منظور تربوي، دراسة الشخصيات والفضاء السردى تُعد من الأدوات الفعّالة في تعليم النص السردى، لأنها:

1. تنمي التفكير النقدي: من خلال تحليل دوافع الشخصيات وربطها بالزمان والمكان.
2. تعزز الإدراك الاجتماعي والثقافي: من خلال فهم البيئة التي تعيش فيها الشخصيات وقيم المجتمع المحيط بها.
3. تطور القدرة على التأويل والاستنتاج: إذ يضطر المتعلم لاستنتاج المعاني الضمنية من خلال العلاقات بين الشخصيات والفضاء السردى.
4. تقوي المهارات اللغوية: من خلال متابعة الوصف السردى للزمان والمكان، وفهم وظائف اللغة في التعبير عن المشهد النفسي والاجتماعي.

1. وعليه، لا يمكننا الفصل بين الزمن والفضاء في بنية الشكل القصصي، أو حتى الروائي، فهما متلازمان: فالحديث عن الزمن يستدعي الحديث عن الفضاء مما جعل ميخائيل باختين يطلق عليهما توصيف الكرونوتوب Cronotope - باعتبار أنهما يشكلان مركبا ويدخلان في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية. بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2009، ص26.

يمكن القول إن الشخصيات والفضاء السردي (الزمان والمكان) يشكلان نواة بناء المعنى في النص السردى. تحليل هذه العناصر يمنح المتعلم القدرة على فهم الدوافع الإنسانية، والتحويلات النفسية والاجتماعية، وتأثير البيئة على الأفعال والسلوكيات. كما يتيح للمتعلم التفاعل مع النص بعمق، وتطوير مهارات النقد والتأويل، وتحويل القراءة إلى تجربة معرفية شاملة تجمع بين الفهم والتحليل والتأمل في الطبيعة الإنسانية والاجتماعية للنص.

1-3. القراءة السردية بوصفها فعلاً معرفياً دينامياً

تُعدّ القراءة السردية فعلاً معرفياً دينامياً مركباً، يتجاوز حدود الاستقبال السلبي لمحتوى النص، ليغدو نشاطاً ذهنياً نشطاً يشارك فيه المتعلم مشاركة فعالة في إنتاج المعنى وبنائه. فالقارئ في النص السردى لا يكتفى بتتبع مجرى الحكاية أو استيعاب تسلسل الأحداث، بل ينخرط في عملية عقلية معقدة تستدعي الفهم، والتحليل، والاستنتاج، والتأويل، والمساءلة النقدية. وبهذا المعنى، تتحول القراءة السردية إلى ممارسة معرفية تفاعلية، يقوم فيها المتعلم بدور أساسي في استنطاق النص، وربط مكوناته، والكشف عن علاقاته الداخلية، بدل الاكتفاء بتلقي المعاني الجاهزة.

وتقوم هذه القراءة النشطة على إدراك التسلسل الزمني للأحداث، ليس بوصفه ترتيباً خطياً بسيطاً، بل باعتباره بنية دلالية تتحكم في إيقاع السرد، وتكشف عن تحولات الشخصيات، وتساهم في بناء التوتر أو الانفراج داخل النص. ففهم الزمن السردى يفرض على القارئ تتبع الانتقالات بين الماضي والحاضر والمستقبل، والتميز بين زمن الحكاية وزمن السرد، وربط هذه التحويلات بوظائفها الدلالية، سواء تعلق الأمر بكشف خلفيات الشخصيات، أو بتفسير أفعالها، أو بتوضيح مسار تطورها النفسى والاجتماعى. ومن خلال هذا التفاعل مع الزمن، يتدرب المتعلم على التفكير المنطقى، وربط الأحداث وفق علاقات سببية دقيقة، ما يعزز قدرته على التحليل والاستنتاج.

كما تتطلب القراءة السردية الفاعلة القدرة على تحليل الوقائع وربطها بعلاقات سببية ومنطقية، إذ لا يُنظر إلى الحدث بوصفه معطى معزولاً، بل كحلقة ضمن سلسلة من التحويلات التي تكتسب معناها من ارتباطها بما قبلها وما بعدها. وهذا الربط السببى يتيح للمتعلم فهم منطق النص الداخلى، واستيعاب دوافع الشخصيات، وتفسير النتائج المترتبة عن قراراتها، مما يجعل القراءة تمريناً على التفكير العقلانى والنقدى، ويُنبئ لدى المتعلم مهارة تفسير الأفعال الإنسانية في ضوء سياقاتها النفسية والاجتماعية والثقافية.

ويحتل تحليل الشخصيات موقعاً محورياً في القراءة السردية بوصفها فعلاً معرفياً، إذ تشكل الشخصيات بؤراً دلالية يتقاطع عندها السرد والزمن والمكان واللغة. فالقارئ النشط يسعى إلى فهم الشخصيات في تعدد أبعادها: الجسدية، والنفسية، والاجتماعية، والقيمية، ويعمل على ربط هذه

الأبعاد بسلوكها وأقوالها وتحولاتها داخل النص. ومن خلال هذا التحليل، يكتسب المتعلم وعياً أعمق بالطبيعة الإنسانية، ويفهم تعقيد الدوافع البشرية، وتناقضاتها، وصراعاتها الداخلية، ما يحول النص السردي إلى فضاء للتأمل في الإنسان والمجتمع والقيم.

ولا تكتمل القراءة السردية إلا بالقدرة على استنتاج الدلالات الكامنة والمعاني الضمنية التي لا يصحّح بها النص مباشرة، بل يلمح إليها عبر الإيحاء، والرمز، وبناء المشاهد، واختيار اللغة والأسلوب. فالقارئ الفاعل لا يقف عند المعنى السطحي، بل يسعى إلى كشف ما وراء القول، وربط المقاطع السردية بعضها ببعض، واستحضار السياق الثقافي والاجتماعي الذي أنتج فيه النص. ويؤدي هذا المسار التأويلي إلى تنمية الحس النقدي لدى المتعلم، ويُدرّبه على مساءلة الخطاب السردية، وتحليل مواقفه، واستكشاف القيم التي يدافع عنها أو ينتقدها.

ومن خلال هذا التفاعل النقدي مع النص، يكتسب المتعلم مهارات التفكير التحليلي والنقدي، ويفهم الكيفية التي يُبنى بها النص السردية، وكيف تُوظف عناصره المختلفة لإيصال الرسائل المعرفية والوجدانية. فالقراءة السردية الواعية تكشف للمتعلم أن النص ليس تجميعاً اعتباطياً للأحداث، بل بناء فني محكم، تتحكم فيه اختيارات لغوية وأساليب سردية دقيقة، تسهم في توجيه القارئ، وإثارة انفعالاته، وبناء موقفه من الشخصيات والأحداث.

وبذلك تصبح القراءة السردية ممارسة شاملة ومتكاملة، تربط بين الفهم الأولي، والاستنتاج المنطقي، والتحليل البنيوي، والتأويل النقدي، مع تعزيز الوعي بالبعد الجمالي واللغوي للنص. فهي قراءة تُنمي الذائقة الأدبية، وتُنمي الحس الجمالي من خلال الانتباه إلى الصور الفنية، والإيقاع السردية، والأسلوب اللغوي، وفي الوقت نفسه تُنمي الكفايات العقلية والمعرفية، وتجعل المتعلم أكثر قدرة على التعامل مع النصوص المعقدة بوعي ومهارة واستقلالية فكرية.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن القراءة السردية، حين تُدرّس بوصفها فعلاً معرفياً دينامياً، تسهم في تكوين قارئ ناقد، قادر على التفاعل الخلاق مع النصوص الأدبية، وفهم أبعادها المتعددة، وربطها بذاته وبواقعه وبالعالم من حوله، مما يمنح القراءة بعداً تربوياً وإنسانياً يتجاوز حدود الفصل الدراسي، ليصبح أداة لبناء الوعي والتفكير الحر.

2- تدريسية النص السردية - البنية والمفاهيم الأساسية

1-2. مبادئ تدريس النص السردية

تقوم تدريسية النص السردية على جملة من المبادئ التربوية والبيداغوجية التي تستهدف إحداث تحول جذري في علاقة المتعلم بالنص الأدبي، بحيث لا يظل هذا الأخير موضوعاً للتلقين

السلبى أو مادة للحفظ والاستظهار، بل يصبح مجالاً مفتوحاً للفهم والتحليل والتأويل وبناء المعنى. فالنص السردي، بما يملكه من تعقيد بنيوي ودلالي، يفرض اعتماد مقارنة تدريسية تجعل المتعلم في مركز العملية التعليمية، وتُخرجه من وضعية المتلقي الخاضع لسلطة الشرح الجاهز، إلى وضعية الفاعل المعرفي القادر على مساءلة النص واستكشاف بنياته الداخلية ومعانيه المتعددة. ويُعد الانتقال من التلقين إلى الفهم النقدي من أهم المبادئ المؤسسة لتدريس النص السردي، إذ لم يعد الهدف من تدريس هذا النوع من النصوص هو استرجاع الأحداث أو تلخيص الحكاية، وإنما تمكين المتعلم من أدوات التحليل السردي التي تسمح له بفهم كيفية تشكل النص، والوقوف عند العلاقات التي تنظم مكوناته، واستنباط الدلالات التي ينتجها الخطاب السردي في تفاعله مع القارئ.

ويفترض هذا المبدأ إعادة النظر في أدوار الفاعلين التربويين داخل الفصل الدراسي، حيث يتحول المدرس من ناقل للمعرفة إلى ميسر للتعلم، وموجه للأنشطة، ومحفز للتفكير، يطرح الأسئلة الإشكالية، ويخلق وضعيات تعليمية تدفع المتعلم إلى البحث والاستنتاج والمقارنة والتحليل. في المقابل، ينخرط المتعلم في عملية تعلم نشطة، تقوم على الاكتشاف التدريجي لبنية النص، وبناء الفهم انطلاقاً من المعطيات النصية، وليس من الشروح الجاهزة. ويصبح النص السردي، في هذا السياق، فضاءً حيّاً للتفاعل والتأمل، ومجالاً لتدريب المتعلم على مهارات التفكير النقدي، مثل الملاحظة الدقيقة، وربط الأسباب بالنتائج، وتحليل التحولات، واستنتاج المعاني الضمنية، ومساءلة مواقف الشخصيات ودلالات الأحداث.

كما يركز تدريس النص السردي على مبدأ أساسي آخر يتمثل في التدرج في بناء الفهم، إذ لا يمكن الانتقال بالمتعلم مباشرة إلى مستويات التأويل العميق دون المرور بمراحل تمهيدية تضمن استيعابه الأولي للنص. ويقوم هذا التدرج على الانتقال من الفهم السطحي، الذي يركز على التعرف على موضوع النص وأحداثه العامة وشخصياته الأساسية، إلى الفهم التحليلي، الذي يهتم بتفكيك البنية السردية، ورصد العلاقات بين الأحداث، وتحليل أدوار الشخصيات، وملاحظة تنظيم الزمن والمكان، وصولاً إلى مستوى التأويل النقدي، حيث يصبح المتعلم قادراً على إنتاج قراءة شخصية واعية، تربط بين النص وسياقه، وتستخلص دلالاته الفكرية والقيمية والإنسانية.

ويتيح هذا التدرج للمتعلم فرصة حقيقية لاستيعاب المنطق التحولي للأحداث، وفهم العلاقات السببية التي تحكم تطور السرد، والإحاطة بالتحولات الزمنية والمكانية التي تؤطر مسار الحكاية. كما يساعده على التعرف على أنماط البناء السردي المختلفة، مثل البناء الخطي أو الدائري أو المتقطع، وعلى إدراك وظيفة كل عنصر من عناصر النص في تحقيق التماسك والانسجام. ومن خلال هذا المسار التدريجي، يتعلم المتعلم أن النص السردي ليس تجميعاً عشوائياً للأحداث، بل بناء محكم يقوم على علاقات دقيقة تضمن وحدته الدلالية وسلاسته الفنية.

ويترب عن اعتماد هذه المبادئ في تدريس النص السردي تنمية مجموعة من الكفايات الأساسية لدى المتعلم، من بينها القدرة على التحليل المنهجي للنصوص، وتطوير الحس النقدي، والتمكن من آليات القراءة الواعية، والقدرة على التعبير عن الرأي المدعم بالحجج النصية. كما يسهم هذا التوجه في تعزيز استقلالية المتعلم في بناء المعرفة، ويجعله أكثر قدرة على التعامل مع النصوص الأدبية بوصفها خطابات مفتوحة على التأويل، لا معطيات مغلقة ذات معنى واحد نهائي. وبهذا المعنى، يتحول تدريس النص السردي من ممارسة تعليمية تقليدية إلى فعل تربوي عميق، يهدف إلى تكوين قارئ ناقد، واعٍ، وقادر على التفاعل الخلاق مع النصوص الأدبية ومع العالم من حوله⁽¹⁾.

2-2. بنية النص السردي كأداة تعليمية

يمثل تحليل البنية السردية إحدى الركائز الأساسية في تدريس النص السردي، لكونه مدخلاً منهجياً يمكن المتعلم من فهم الكيفية التي يُبنى بها النص الأدبي، ويكشف له عن المنطق الداخلي الذي يحكم تتابع الأحداث وتنظيمها داخل الحكاية. فالنص السردي لا يقوم على تكديس الوقائع أو عرضها بشكل عشوائي، بل يعتمد على بناء محكم تتحكم فيه علاقات سببية وزمنية دقيقة، تجعل كل حدث يؤدي وظيفة محددة داخل النسق العام للنص. ومن هنا، فإن الاشتغال على البنية السردية يتيح للمتعلم الانتقال من قراءة سطحية تكتفي بتتبع ما يحدث، إلى قراءة واعية تستهدف فهم كيف ولماذا حدث ذلك.⁽²⁾

ويشمل تحليل البنية السردية دراسة تسلسل الأحداث⁽³⁾، ليس بوصفه مجرد ترتيب زمني خطي، وإنما باعتباره مساراً تحولياً تتطور فيه الحكاية عبر مراحل متتابعة، تبدأ بوضعية بدئية⁽⁴⁾

1. «ولعل هذا ما يفسر اهتمام المنظومة التربوية بالسرد، من خلال حضور النص السردي في درس القراءة، ويستهدف مثل غيره من الأنماط النصية تنمية الكفايات التواصلية والمنهجية والثقافية والاستراتيجية لدى المتعلم (5)».
- عمار حسن ونجيب محمد، النص السردي من القراءة إلى الكتابة ضمن مجلة دراسات بيداغوجية، عدد مزدوج الرابع والخامس، والموسوم ب: «ديكتيك النص ودرس الأدب»، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1، 2019، ص37.
2. «ولم يعد السؤال المطروح هو: ماذا يقول النص؟ أو من قائله؟ ولكن السؤال الأساسي هو: كيف يقول النص ما يقوله؟ فهو يعني برصد البنى العميقة التي تتحكم بمظاهر الخطاب، وتهدف أساساً إلى تحديد قواعد ووظائفية للسرد».
- آيت أوشان علي، ديكتيك النص السردي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2023، ص27.
3. «وهي عنصر مركزي داخل معمار العمل القصصي، تساعد القارئ على تتبع مجرى السرد، وتنظم ضمن متواليات سردية، قد تحافظ على البنية التقليدية: بداية-وسط-نهاية، أو تقوم بخرق هذه البنية عبر تقنيات سردية جديدة كالاستباق والاسترجاع، فتصبح النهاية هي البداية أو العكس، وبالتالي تقدم الأحداث في شكل «فوضى منظمة» تستدعي نباهة القارئ وفطنته ليعيدها إلى سياقاتها كي تبدو على هيئة معقولة. وتشتغل المتواليات السردية ضمن خطاطة سردية، تنطلق من الوضعية الأولية (الاستهلال) ثم سيرورة التحول (الوسط) لتنتهي بالوضعية النهائية (النهاية)».
- الذهبي عزيز، تدريسية النص السردي، ضمن مجلة دراسات بيداغوجية، عدد مزدوج الرابع والخامس، والموسوم ب: «ديكتيك النص ودرس الأدب»، مرجع سابق، ص231-232.
4. «غالباً ما يتم التأشير عليه ببعض المعطيات التي تحمل إحالة/ دلالة زمنية ومكانية. ففي معظم القصص نجد تحديداً للفضاء

تقدم معطيات أساسية عن الشخصيات والزمان والمكان، ثم تنتقل إلى بروز حدث محفز يخلخل هذا التوازن الأولي، لتتوالى بعد ذلك منحنيات التوتر والصراع، وصولاً إلى الحكمة التي تمثل ذروة السرد⁽¹⁾، قبل أن تنتهي الحكاية بوضعية ختامية تعكس نتائج التحولات التي عرفتتها الشخصيات والأحداث⁽²⁾. إن وعي المتعلم بهذه المراحل يمكنه من إدراك وظيفة كل جزء من النص، وفهم دوره في بناء المعنى العام، كما يساعده على التمييز بين الأحداث الجوهرية والأحداث الثانوية، وتقدير قيمة كل تحول في تطور الحكاية.

ويؤدي هذا الفهم البنيوي إلى تعزيز القدرة على التفكير النقدي لدى المتعلم، لأنه يدفعه إلى التساؤل حول منطق السرد، وأسباب تطور الأحداث بهذا الشكل دون غيره، والبدايل الممكنة التي كان يمكن أن يتخذها النص لو تغير مسار حدث معين. وبهذا المعنى، تتحول القراءة إلى ممارسة تأملية ومعرفية متقدمة، لا تقتصر على استيعاب المعنى الظاهر، بل تمتد إلى تفسيره، وتحليل شروط إنتاجه، وإعادة بنائه ذهنيًا من منظور نقدي. كما يكتسب المتعلم، من خلال هذا التحليل، مهارات تنظيم الفكر، وربط الأسباب بالنتائج، وفهم العلاقات المعقدة بين عناصر النص، وهي مهارات تتجاوز المجال الأدبي لتسهم في بناء التفكير المنطقي بشكل عام.

ولا يقتصر الاشتغال البنيوي في تدريس النص السردى على الأحداث فقط، بل يشمل كذلك تحليل الشخصيات باعتبارها عناصر فاعلة في تحريك الحكاية وبناء دلالاتها. فالشخصيات ليست مجرد وسائط لتنفيذ الأحداث، بل هي حوامل للقيم والأفكار والصراعات الإنسانية التي يعكسها النص. ويتيح تحليل الشخصيات للمتعلم الوقوف على أبعادها الجسدية، التي تسهم في تشكيل صورتها الخارجية، وأبعادها الاجتماعية، التي تحدد موقعها داخل البنية المجتمعية للنص، وأبعادها النفسية، التي تكشف عن دوافعها الداخلية وتناقضاتها وصراعاتها. ومن خلال الربط بين هذه

والزمان قبل الشروع في سرد الأحداث. ذلك أن الكاتب يعمد، منذ البداية، إلى تقديم الحدث مؤثما حسب الزمان والمكان، ولو بشكل سريع، وقد تكون هذه الأماكن واقعية، كما قد تكون تخيلية.»

- الذهبي عزيز، تدريس النص السردى، مرجع سابق، ص 232.

1. «بعد الاستهلال أو الوضعية الأولية، التي يتم فيها تقديم السياق العام للقصة، تتوالى الأحداث وهي مترابطة وفق منطق زمني معين يختاره السارد، ثم تسير هذه الأحداث في اتجاه العقدة، التي تنفج عبر حدث جزئي يكون عاملاً مؤثراً في عودة الاستقرار والهدوء اللذين افتتحت بهما القصة.»

- الذهبي عزيز، تدريس النص السردى، مرجع سابق، ص 232.

2. «تتخذ النهاية أربعة أشكال مختلفة؛ فإما أن تكون نهاية سعيدة، استطاعت فيها الذات تحقيق موضوعها فأعدت التوازن إلى روحها بعد اضطراب وقلق تولد عن تأزم الأحداث، أو تكون فلسفية عقلية تضع القارئ في حالة تأمل من خلال التركيز على وعي البطل، أو تكون حزينة، تنتهي بفاجعة تزيد من توتر وقلق الذات أو موتها، وإما أن يترك الكاتب أفق الحكيم مفتوحاً أمام القارئ فيجعله منخرطاً ومشاركاً في رسم هذه النهاية وفق تطلعاته وميولاته التخيلية الشخصية.»

- الذهبي عزيز، تدريس النص السردى، مرجع سابق، ص 232-233.

الأبعاد، يصبح المتعلم قادرًا على فهم منطق تصرفات الشخصيات، وتفسير مواقفها، واستشراف نتائج أفعالها داخل السياق السردي.

كما يسمح هذا التحليل بتقييم أفعال الشخصيات وربطها بالقيم التي يمثلها النص، سواء كانت قيمًا إيجابية يدافع عنها السرد، أو قيما سلبية يعمد النص إلى مساءلتها أو نقدها. ويكتشف المتعلم، من خلال ذلك، الأبعاد الرمزية للشخصيات، حيث يمكن أن تتحول بعض الشخصيات إلى رموز لمعانٍ أوسع، تتجاوز حدود الحكاية لتلامس قضايا إنسانية أو اجتماعية أو ثقافية عامة. ويؤدي هذا الوعي إلى تنمية القدرة على التفسير المتعدد الأبعاد، وإدراك أن النص السردي لا يقدم معنى واحدًا مغلقًا، بل يفتح المجال أمام قراءات مختلفة تتشكل بحسب زاوية النظر ومستوى الوعي النقدي للقارئ.

وبهذا، تغدو بنية النص السردي أداة تعليمية فعّالة، لأنها تمكن المتعلم من اكتساب منهجية واضحة في قراءة النصوص الأدبية، وتدريبه على تفكيك الخطاب السردي وإعادة تركيبه، وتساعدته على بناء علاقة واعية بالنص، قائمة على الفهم والتحليل والتأويل. كما تساهم في تكوين قارئ ناقد، قادر على التعامل مع النصوص السردية بوصفها بنيات دلالية مركبة، لا مجرد حكايات للتسلية أو الاستظهار، مما يمنح تدريس النص السردي بعدًا تربويًا ومعرفيًا عميقًا يتجاوز حدود الفصل الدراسي.

2-3. القراءة التفاعلية والنقدية كمنهج تدريس

تقوم تدريسية النص السردي الحديثة على اعتماد القراءة التفاعلية والنقدية بوصفها منهجًا بيداغوجيًا يهدف إلى تحويل المتعلم من مستقبل سلبي للمعرفة إلى فاعل أساسي في بناء المعنى وإنتاجه⁽¹⁾. فالقراءة التفاعلية لا تنظر إلى النص السردي باعتباره مادة مغلقة ذات دلالة جاهزة، بل تعتبره خطابًا مفتوحًا يستدعي مشاركة القارئ في تفكيك بنيته، واستنطاق مكوناته، وربط عناصره المختلفة لإنتاج دلالاته الممكنة. وفي هذا السياق، يصبح المتعلم شريكًا في العملية التأويلية، ويغدو النص فضاءً للحوار والتفاعل بدل أن يكون موضوعًا للشرح الأحادي.

ويستند هذا المنهج إلى مبدأ طرح الأسئلة النقدية الموجهة، التي لا تقتصر على استرجاع المعطيات الظاهرة، بل تستهدف تحفيز التفكير العميق ومساءلة النص من زوايا متعددة. فالسؤال في القراءة التفاعلية يتحول من أداة للتحقق من الفهم إلى وسيلة لإثارة الإشكال، ودفع المتعلم إلى

1. «وبذلك فإننا نعتبر القراءة فعلا ديناميا يتيح للمتعلم فرصة التعلم الذاتي، وتنمية طاقاته، وزيادة فهمه لذا أصبح من المفيد أن يمتلك المتعلم استراتيجية القراءة، وأن يوجه لنفسه الأسئلة التي تيسر الفهم، وتشجع على التفكير في المقروء للتحكم فيه بشكل أفضل.»

البحث عن العلاقات بين الأحداث، وتحليل دوافع الشخصيات، واستكشاف منطوق السرد، وفهم الاختيارات الفنية التي اعتمدها الكاتب. ومن خلال هذا الاشتغال، يتعلم المتعلم كيف يطرح الأسئلة المناسبة، وكيف يبني أجوبة مدعمة بالحجج النصية، وهو ما يساهم في ترسيخ مهارات التفكير النقدي والاستقلالية الفكرية.

كما تشجع القراءة التفاعلية على النقاش الجماعي حول النص، إذ يشكل الحوار داخل الفصل فضاءً لتبادل القراءات، ومقارنة وجهات النظر، واختبار الفرضيات التأويلية المختلفة. ويسمح هذا النقاش للمتعلمين بإدراك أن النص الواحد يمكن أن يولّد قراءات متعددة، تختلف باختلاف الخلفيات المعرفية والثقافية للقارئ، وهو ما يعزز لديهم قيم التسامح الفكري، واحترام الرأي الآخر، والقدرة على الدفاع عن المواقف بالحجة والمنطق. ومن خلال هذا التفاعل الجماعي، تتوسع آفاق الفهم، ويتحول النص السردى إلى مجال لتدريب المتعلمين على التفكير الجماعي وبناء المعنى المشترك.

ويشمل هذا المنهج التفاعلي الاشتغال على مختلف مكونات النص السردى، من أحداث وشخصيات وزمان ومكان ولغة، ليس بوصفها عناصر معزولة، بل باعتبارها شبكة من العلاقات المتداخلة التي تساهم في إنتاج المعنى. فتحليل الزمان والمكان، مثلاً، يتيح فهم السياق الذي تتحرك فيه الشخصيات، واستيعاب تأثير البيئة الزمنية والاجتماعية في تصرفاتها ومواقفها، بينما يساهم تحليل اللغة والأسلوب في كشف الدلالات الإيحائية والرمزية التي يعتمدها النص لإيصال رسائله المعرفية والوجدانية. ومن خلال هذا التحليل المتكامل، يدرك المتعلم أن المعنى لا يكمن في عنصر واحد، بل يتولد من تفاعل جميع عناصر النص ضمن نسق سردي متماسك.

ويؤلي منهج القراءة التفاعلية والنقدية أهمية خاصة لاستكشاف الدلالات المخفية والمعاني الضمنية التي لا يصرح بها النص بشكل مباشر، بل يُلمح إليها عبر الرمز، والتلميح، وبناء المشاهد، واختيار الألفاظ. فالمتعلم يُدرّب على تجاوز المعنى السطحي، والبحث عما وراء الخطاب، وربط النص بسياقه المعرفي والاجتماعي والثقافي، مما يتيح له فهم القضايا التي يعالجها النص، ومساءلة القيم التي يطرحها أو ينتقدها. ويؤدي هذا المسار إلى تكوين قارئ ناقد، قادر على تحليل الخطاب الأدبي، وفهم علاقته بالواقع، واستيعاب دوره في تشكيل الوعي الفردي والجماعي.

ومن الناحية البيداغوجية، تجعل القراءة التفاعلية المتعلم في موقع التحكم النسبي في العملية التعليمية، إذ يصبح مشاركاً فاعلاً في بناء التعليمات، لا مجرد متلقٍ لتوجيهات المدرس⁽¹⁾. فالأنشطة

1. «فالعلمية التعليمية لا تتم بنجاح إذا كان المتعلمون مجرد مستقبلين سلبيين للمعلومات ومستهلكين لها، إذ يجب عليهم تحمل مسؤولية بعض الخيارات واتخاذ القرارات، وإنتاج المعرفة. إذ أفضل طريقة لتعليم التفاعل هي التفاعل نفسه.» - خالد مساوي وحسن الخطيبي، درس الأدب من براديجم استخراج المعنى إلى بناء الدلالة، ضمن مجلة دراسات بيداغوجية، عدد مزدوج الرابع والخامس، والموسم ب: «ديدكتيك النص ودرس الأدب»، مرجع سابق، ص 175.

القائمة على النقاش، والعمل الجماعي، وبناء الفرضيات التأويلية، تمنح المتعلم إحساسًا بالمسؤولية تجاه تعلمه، وتدفعه إلى الانخراط الإيجابي في الدرس، وهو ما ينعكس على دافعيته للتعلم وجودة مكتسباته المعرفية. كما تسهم هذه المقاربة في تنمية مهارات التواصل الشفهي والكتابي، وتعزيز القدرة على التعبير عن الرأي وتحليله بشكل منظم.

وعليه، يمكن القول إن القراءة التفاعلية والنقدية تمثل منهجًا تدريسيًا فعالاً في تدريس النص السردي، لأنها تدمج بين الفهم والتحليل والتأويل، وتحوّل القراءة إلى ممارسة ديناميكية واعية، تمكن المتعلم من التحكم في مسار تعلمه، والمشاركة الفاعلة في بناء المعرفة، وتكوين وعي نقدي قادر على التعامل مع النصوص الأدبية بوصفها خطابات ثقافية ومعرفية مفتوحة على التأويل والتفكير الحر.

3- تدريسية النص السردي - الممارسات البيداغوجية والتطبيقية

3-1. تنوع الوضعيات التعليمية وتوظيف الأنشطة

تقوم الممارسات البيداغوجية المعاصرة في تدريس النص السردي على مبدأ أساسي يتمثل في تنوع الوضعيات التعليمية وتوظيف أنشطة متعددة الأشكال والوظائف، بما يسمح بتحويل النص من مادة جامدة للشرح إلى فضاء تعليمي ديناميكي، يتفاعل معه المتعلم بطرائق مختلفة، وفق مستويات إدراكه وقدراته المعرفية والوجدانية. فالوضعية التعليمية لم تعد مجرد إطار زمني أو تنظيمي للدرس، بل أصبحت بنية تربوية مقصودة تُصمّم بعناية لخلق شروط التعلم الفعّال، وتمكين المتعلم من بناء معرفته انطلاقًا من التفاعل المباشر مع النص السردي.

ويفترض هذا التوجه البيداغوجي تجاوز الأسلوب الأحادي في التدريس، القائم على الشرح المباشر أو التلقي السلبي، نحو اعتماد وضعيات تعليمية متنوعة تحفّز المتعلم على القراءة الواعية، والتحليل، والتفسير، والتأويل، والمشاركة في إنتاج المعنى. فتنوع الوضعيات التعليمية يتيح للمتعلمين فرصًا متعددة للانخراط في التعلم، حيث تختلف الأنشطة باختلاف الأهداف التعليمية، فتارة تركز على الفهم الأولي للنص، وتارة على تحليل بنيته السردية، وتارة أخرى على استكشاف أبعاده الدلالية والجمالية، أو توظيفه في إنتاج نصوص جديدة. وبهذا، يصبح النص السردي مجالًا مفتوحًا للتجريب والتفاعل، وليس مجرد موضوع للدراسة النظرية.

وتتجلى أهمية توظيف الأنشطة التعليمية المتنوعة في كونها تسمح للمتعلم بممارسة أدوار مختلفة داخل العملية التعليمية، فالأنشطة التحليلية تدرّبه على تفكيك النص، ورصد عناصره السردية، وفهم العلاقات التي تربط بين الأحداث والشخصيات والزمان والمكان. أما أنشطة المناقشة والحوار، فتوفر فضاءً للتفاعل الجماعي، وتبادل الآراء، وبناء الفهم المشترك، وتنمية القدرة على

التعبير عن الرأي والدفاع عنه بالحجة النصية. كما تتيح هذه الأنشطة إدراك تعددية القراءات، وتعزز الوعي بأن النص السردي لا ينتج معنى واحداً مغلقاً، بل يفتح المجال لتأويلات متعددة.

ويُعد التمثيل السردى، سواء في شكل محاكاة مشاهد من النص أو تشخيص أدوار الشخصيات، من الأنشطة ذات الأثر العميق في ترسيخ الفهم، لأنه ينقل المتعلم من مستوى القراءة الذهنية إلى مستوى التجربة الحسية والتخيلية. فمن خلال التمثيل، يعيش المتعلم الأحداث، ويتقمص الشخصيات، ويفهم دوافعها وصراعاتها من الداخل، مما يعمق إدراكه للبنية النفسية والاجتماعية للشخصيات، ويقوي ارتباطه بالنص، ويحوّل التعلم إلى تجربة حية وذات معنى.

أما أنشطة الكتابة الإبداعية، فتُعد من أهم الوسائل التي تمكن المتعلم من إعادة إنتاج النص بشكل شخصي ونقدي، من خلال كتابة نهاية بديلة، أو توسيع حدث معين، أو إعادة سرد القصة من منظور شخصية مختلفة. وتتيح هذه الأنشطة للمتعلم توظيف مكتسباته السردية واللغوية، وتنمية خياله، وتعزيز قدرته على التعبير، كما تكشف عن مدى استيعابه لبنية النص ووظائف عناصره. وهنا لا يعود المتعلم مجرد قارئ للنص، بل يصبح منتجاً لخطاب سردي جديد، ينطلق من النص الأصلي ويتجاوزه.

ويؤدي هذا التنوع في الوضعيات التعليمية والأنشطة إلى كسر رتابة الدرس، وتجديد إيقاع التعلم، وتحفيز الدافعية لدى المتعلم، إذ يشعر بأن التعلم نشاط متجدد ومتنوع، يستجيب لميوله واهتماماته، ويمنحه هامشاً من الحرية والمبادرة. كما يساهم هذا التنوع في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، من خلال إتاحة أنماط مختلفة من التعلم، تجمع بين البعد العقلي، والوجداني، والحسي، واللغوي.

ومن الناحية التربوية، يعزز هذا التوجه قدرة المتعلم على التعلم الذاتي، لأنه يدرّبه على البحث، والاكتشاف، والتجريب، واتخاذ القرار، بدل الاكتفاء بتنفيذ تعليمات جاهزة. كما يُنمّي لديه الإحساس بالمسؤولية تجاه تعلمه، ويقوي ثقته بقدراته، ويجعله أكثر استعداداً للتفاعل الإيجابي مع النصوص الأدبية المعقدة. وبهذا، يتحول النص السردي إلى مساحة حيّة للتجربة والاستكشاف، تُبنى فيها المعرفة عبر التفاعل، ويكتسب فيها الفهم عبر الممارسة، وتتحقق فيها الأهداف التعليمية من خلال إشراك المتعلم في صميم العملية التعليمية.

وعليه، يمكن القول إن تنوع الوضعيات التعليمية وتوظيف الأنشطة في تدريس النص السردي لا يمثل مجرد خيار بيداغوجي، بل يشكل مبدأً أساساً من مبادئ التدريس الفعّال، لأنه يربط بين الفهم والتحليل والتطبيق، ويجعل التعلم تجربة نشطة وذات معنى، تساهم في تكوين متعلم ناقد، مبدع، وقادر على التفاعل الخلاق مع النصوص الأدبية ومع المعرفة بوجه عام.

3-2. الربط بين القراءة والكتابة في التطبيق العملي

يُعدّ الربط بين القراءة والكتابة أحد المرتكزات الأساسية في الممارسة البيداغوجية الحديثة، لما له من دور محوري في تحويل التعلم من مستوى الفهم النظري المجرد إلى مستوى الممارسة الفعلية المنتجة للمعرفة. فالقراءة، في بعدها التربوي، لا تُختزل في استيعاب المعنى أو تفسير النص، وإنما تشكل مدخلاً أولياً لعملية أوسع تتوج بالكتابة بوصفها فعلاً إبداعياً ومعرفياً يعكس عمق الفهم ونضجه. ومن هذا المنطلق، يصبح الاشتغال على النصوص السردية قراءةً وكتابةً مساراً متكاملًا، تتفاعل فيه عمليتا التلقي والإنتاج، بما يتيح للمتعلم بناء كفاياته السردية بشكل تدريجي ومنهجي.

إن القراءة الواعية للنص السردية تزوّد المتعلم بنماذج بنائية وأسلوبية، تمكّنه من إدراك كيفية تشكّل الحكاية، وتنظيم الأحداث، وبناء الشخصيات، وتوظيف الزمن والمكان، واختيار اللغة المناسبة للسياق السردية. وعندما تنتقل هذه المعارف من مستوى الملاحظة والتحليل إلى مستوى الكتابة، يصبح المتعلم قادرًا على استثمار ما اكتسبه في إنتاج نصوص سردية خاصة به، توظف نفس الآليات التي استخلصها من النص المقروء. وبهذا المعنى، تشكل الكتابة امتدادًا طبيعيًا للقراءة، وتتحول من نشاط منفصل إلى نتيجة مباشرة للفهم والتحليل، ويتعزز هذا التصور العملي في الكتابة عبر الاعتماد الديدكتيكي على مجموعة من الإواليات المنهجية؛ حيث «تقتضي تخطيطاً لوضعيتها بدءاً بتحديد وضعية الكتابة: من يكتب؟ وماذا سيكتب؟ وكيف سيكتب؟ وفي أي زمان ومكان؟ مروراً بانتقاء الملفوظات المناسبة لوضعية الكتابة، وانتهاءً بإنتاج نص منسجم ومتماسك. وفي هذا السياق لا بد من التفكير في مد الجسور بين القراءة والكتابة لتنمية الكفاية السردية (la compétence narrative) لدى المتعلمين، وجعلهم قادرين على إنتاج نصوص سردية من خلال استضمارهم للخطاظة السردية، والخصائص البنائية المكونة للنصوص السردية، ولتحقيق ذلك لا بد من خلق الرغبة لديهم في الكتابة، والعمل على تنويع وضعياتها وطرقها»⁽¹⁾.

ويُسهم هذا الربط في تطوير قدرة المتعلم على التخطيط للنص السردية، إذ يتعلم كيف يحدد موضوعه، ويختار زاوية السرد، ويرسم مسار الأحداث، ويضبط العلاقة بين البداية والتصاعد السردية والنهاية. كما يكتسب مهارة تنظيم الأحداث وفق منطق سببي وزمني متماسك، بعيداً عن العشوائية أو التفكك، ويصبح أكثر وعياً بوظيفة كل حدث داخل البنية العامة للنص. وتساعد هذه العملية على إدراك أن الكتابة السردية ليست فعلاً تلقائياً أو عفويًا، بل نشاطاً فكرياً يتطلب تصوراً مسبقاً وبناءً تدريجياً للمعنى.

1. آيت أوشان علي، ديدكتيك النص السردية، مرجع سابق، ص 60

كما يتيح الربط بين القراءة والكتابة للمتعلم فرصة تعميق فهمه لبناء الشخصيات، من خلال الانتقال من تحليل شخصيات النص المقروء إلى محاولة خلق شخصيات جديدة تحمل ملامح جسدية ونفسية واجتماعية واضحة. فالكتابة السردية تفرض على المتعلم التفكير في دوافع الشخصيات، وصراعاتها، وتحولاتها، وعلاقتها بغيرها، وهو ما يعزز قدرته على تمثيل البعد الإنساني للنصوص، وفهم تعقيد التجربة البشرية التي يعكسها السرد. وهكذا، تتحول الشخصيات من موضوع للتحليل إلى أدوات للتعبير، يستثمرها المتعلم لبناء رؤيته الخاصة للعالم.

ومن الناحية اللغوية والأسلوبية، يسهم هذا التكامل بين القراءة والكتابة في تنمية الحس اللغوي لدى المتعلم، إذ تتيح له القراءة التعرف على تنوع الأساليب السردية، واستخدام الوصف والحوار، وتوظيف الصور البلاغية والإيحاءات، بينما تمكّنه الكتابة من اختبار هذه الأدوات في إنتاجه الشخصي. ومن خلال هذه الممارسة، يكتشف المتعلم أسلوبه الخاص، ويتدرج في الانتقال من التقليد الواعي للنماذج المقروءة إلى الإبداع المستقل، مما يعزز ثقته بقدراته التعبيرية ويقوي علاقته باللغة.

ويُعد هذا الربط مجالاً خصباً للتعبير عن الذات، إذ تمنح الكتابة السردية المتعلم فرصة لإسقاط تجاربه الشخصية، وتمثلاته، ومشاعره، وتصوراتهِ عن الواقع، في نصوصه الخاصة. فالقراءة تفتح أمامه آفاقاً فكرية وجمالية جديدة، والكتابة تتيح له إعادة تشكيل هذه الآفاق وفق رؤيته الذاتية، مما يحول التعلم إلى تجربة ذات معنى، تجمع بين البعد المعرفي والبعد الوجداني. ويؤدي هذا التفاعل إلى تعزيز الشعور بالتمكين، إذ يشعر المتعلم بأنه قادر على إنتاج المعرفة، لا مجرد استهلاكها.⁽¹⁾

ومن منظور بيداغوجي، يساهم الربط بين القراءة والكتابة في ترسيخ التعلمات، لأن المعرفة التي تُوظف في الإنتاج تكون أكثر ثباتاً وعمقاً من تلك التي تظل حبيسة الفهم النظري. كما يُنمّي هذا الربط مهارات التفكير العليا، مثل التحليل، والتركيب، والتقويم، إذ يُطلب من المتعلم أن يستثمر ما قرأه، وأن يعيد تنظيمه، وأن ينتج نصاً جديداً يحمل بصمته الخاصة. وبذلك، تتحول الحصّة الدراسية إلى ورشة للتفكير والإبداع، ويغدو النص السردى منطلقاً لبناء كفايات متعددة، لغوية وفكرية وجمالية.

وعليه، يمكن القول إن الربط بين القراءة والكتابة في التطبيق العملي لا يمثل مجرد تقنية تعليمية، بل يشكل خياراً تربوياً استراتيجياً، يهدف إلى بناء متعلم قادر على الفهم والإنتاج، وعلى

1. «وبذلك نفهم أن حصّة تدريس النصوص هي فرصة إنتاج نصوص أخرى لا تخصيص كل الجهد والزمن التربويين في البحث عن مقصدية المؤلف واستخراج الأفكار.»

- خالد مساوي وحسن الخطيبي، درس الأدب من براديجم استخراج المعنى إلى بناء الدلالة، مرجع سابق، ص 175.

الانتقال من موقع القارئ إلى موقع الكاتب، ومن وضعية التلقي إلى وضعية الإبداع. وبهذا التكامل، تتحقق الغاية الأساسية من تدريس النص السردي، المتمثلة في تكوين متعلم فاعل، ناقد، ومبدع، يمتلك أدوات التعبير والتفكير، ويتفاعل مع المعرفة بوصفها تجربة حيّة ومستمرة.

3-3. التقويم البناء ودوره في تثبيت التعلم

يشكل التقويم البناء أحد المرتكزات الأساسية في تدريس النص السردي، لأنه لا يُختزل في كونه إجراءً نهائيًا لقياس النتائج، بل يُعدّ مسارًا مرافقًا لعملية التعلم منذ بدايتها إلى نهايتها، يهدف إلى دعم المتعلم في بناء معارفه وتنمية كفاياته بشكل تدريجي ومتوازن. فالتقويم البناء ينطلق من تصور بيداغوجي يجعل التعلم عملية ديناميكية قابلة للتطوير المستمر، ويُسهّم في تحويل التقويم من آلية للحكم والإقصاء إلى أداة للتشخيص والتوجيه والتحفيز، بما يخدم فهم النص السردي واستيعاب بنيته وإتقان آليات تحليله وإنتاجه.

وفي سياق تدريس النص السردي، يتخذ التقويم البناء طابعًا شاملاً يمس مختلف مستويات الاشتغال القرائي والكتابي، إذ يواكب المتعلم في قدرته على الفهم الأولي للنص، ثم في انتقاله إلى تحليل الأحداث، واستيعاب العلاقات السببية والزمنية، وفهم تطور الشخصيات وتحولاتها النفسية والاجتماعية، وصولًا إلى استنتاج الدلالات العميقة والرمزية التي يحملها النص. ويتيح هذا النوع من التقويم رصد الصعوبات التي قد تواجه المتعلم في إدراك منطق السرد أو في التمييز بين العناصر المكونة للحكاية، مما يسمح بتدخل بيداغوجي مبكر لتصحيح التعثرات قبل ترسخها.

ولا يقتصر التقويم البناء على تقويم الفهم القرائي فحسب، بل يمتد ليشمل تقويم الإنتاج السردي، حيث يُمكنّ المدرس من متابعة تطور الكفاية الكتابية لدى المتعلم، من حيث قدرته على تخطيط النص، وتنظيم الأحداث، وبناء الشخصيات، وضبط الزمن والمكان، واحترام التماسك والانسجام السردي. ومن خلال هذا التقويم، يصبح المتعلم واعيًا بنقاط القوة والضعف في كتاباته، وقادرًا على مراجعة إنتاجه وتطويره، مما يعزز لديه مهارة التقويم الذاتي، ويكرس مبدأ التعلم القائم على الوعي والمساءلة الذاتية.

ويحتل عنصر التغذية الراجعة موقعًا محوريًا في التقويم البناء، إذ لا يهدف هذا الأخير إلى تسجيل الأخطاء بقدر ما يسعى إلى توضيحها وتفسيرها ومساعدة المتعلم على تجاوزها. فالتغذية الراجعة المستمرة، سواء كانت شفوية أو كتابية، فردية أو جماعية، تمكّن المتعلم من فهم طبيعة أخطائه وأسبابها، وتفتح أمامه آفاق التحسين والتطوير. كما تسهّم في بناء علاقة إيجابية بين المتعلم والتقويم، حيث لا يُنظر إليه بوصفه مصدرًا للضغط أو العقاب، بل كوسيلة للدعم والمواكبة.

ومن جهة أخرى، يسهّم التقويم البناء في ترسيخ التعلم وتثبيتها، لأنه يعتمد على التكرار

الواعي والتدرج في بناء المهارات، ويتيح للمتعلم فرصًا متعددة لتوظيف معارفه في سياقات مختلفة. فكل وضعية تقويمية تصبح امتدادًا للوضعية التعليمية، وفرصة جديدة لتعميق الفهم، وتوسيع دائرة التطبيق، وربط التعلّيمات السابقة بالجديدة. وبهذا المعنى، يتحول التقويم إلى عنصر فاعل في بناء الكفايات اللغوية والسردية، وليس مجرد مرحلة منفصلة عن التعلم.

كما أن اعتماد التقويم البنّاء في تدريس النص السردى يعزز الدافعية لدى المتعلمين، لأنه يمنحهم الإحساس بالتقدم التدريجي، ويجعلهم شركاء في تقويم تعلمهم. فحين يدرك المتعلم أن جهوده تُثَمَّن، وأن أخطائه تُعدّ جزءًا طبيعيًا من مسار التعلم، تنمو لديه الثقة بالنفس، ويتعزز انخراطه في الأنشطة القرائية والكتابية، ويصبح أكثر استعدادًا للمجازفة الفكرية والإبداعية.

وعليه، يمكن القول إن التقويم البنّاء يشكّل آلية مركزية لضمان جودة التعلّيمات في تدريس النص السردى، لأنه يجمع بين التشخيص والتوجيه والدعم، ويربط التقويم بالتعلم ربطًا عضويًا، ويسهم في بناء متعلم قادر على الفهم العميق، والتحليل النقدي، والإنتاج الإبداعي. وبذلك لا يقتصر أثره على تثبيت التعلّيمات الآنية، بل يمتد ليؤسس لتعلم مستدام، يرسخ الكفايات اللغوية والفكرية، ويؤهل المتعلم للتعامل الواعي والنقدي مع النصوص السردية داخل المدرسة وخارجها.

خاتمة

يتضح، من خلال ما سبق عرضه وتحليله، أن تدريس النص السردى لا يمكن أن يحقق أهدافه التربوية والمعرفية إلا إذا انبنى على تصور ديداكتيكي شامل، يُراعي طبيعة النص السردى بوصفه بنية لغوية ودلالية مركبة، ويستثمر إمكاناته في تنمية كفايات المتعلم القرائية والتواصلية والنقدية. فالنص السردى ليس مجرد حكاية تُروى، بل هو خطاب أدبي مفتوح على التأويل، يستدعي قارئًا فاعلاً قادرًا على التفاعل مع مكوناته وبناء معناه.

وقد أظهر المقال أن الانتقال من القراءة التلقينية إلى القراءة التفاعلية والنقدية يُعدّ شرطًا أساسيًا لنجاح تدريس النص السردى، إذ يتيح للمتعلم الانخراط في سيرورة التعلم، وتحويله من متلقٍ سلبي إلى منتج للمعرفة والدلالة. كما بيّن أن اعتماد مبادئ تدريسية واضحة، تقوم على استثمار بنية النص السردى، وتنويع الأنشطة والوضعيات التعليمية، والربط الوظيفي بين القراءة والكتابة، يسهم في تعزيز الفهم العميق للنص وتثبيت التعلّيمات.

ويكتسي التقويم البنّاء، في هذا السياق، أهمية خاصة، باعتباره آلية تنظيمية وتشخيصية، لا تقتصر على قياس النتائج، بل تهدف إلى مواكبة التعلم، وتصحيح مساره، ومعالجة التعثرات، وضمان انتقال أثر التعلم إلى وضعيات جديدة داخل المادة وخارجها. ومن ثم، فإن ديداكتيك النص

السردى يشكل مجالاً دينامياً مفتوحاً للتجديد والتطوير، يستدعي مواكبة مستمرة للممارسات الصفية، وانخراطاً واعياً للمدرس في تفعيل المقاربات البيداغوجية الحديثة.

وخلاصة القول، إن الارتقاء بتدريس النص السردى يظل رهيناً بتكامل الأبعاد المفاهيمية والتدريسية والتطبيقية، بما يسهم في تكوين متعلم ناقد، متفاعل، وقادر على توظيف مكتسباته القرائية في مختلف السياقات التعليمية والثقافية، ويمنح للنص السردى مكانته الحقيقية داخل المنظومة التربوية.

لائحة المصادر والمراجع

- آيت أوشان، علي. ديدكتيك النص السردى، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2023.
- البحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2009.
- البوعزاوي، خديجة. تدريسية النص السردى في ضوء القراءة المنهجية، منشورات مقاربات، فاس، ط1، 2018.
- الذهبي، عزيز. «تدريسية النص السردى». ضمن: مجلة دراسات بيداغوجية، عدد مزدوج (الرابع والخامس)، ديدكتيك النص ودرس الأدب. دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2019.
- عمار، حسن؛ ونجيب، محمد. «النص السردى من القراءة إلى الكتابة». ضمن: مجلة دراسات بيداغوجية، عدد مزدوج (الرابع والخامس)، ديدكتيك النص ودرس الأدب، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2019.
- لحميداني، حميد، بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط1، 1991.
- مساوي، خالد؛ والخطيبي، حسن. «درس الأدب: من براديفم استخراج المعنى إلى بناء الدلالة». ضمن: مجلة دراسات بيداغوجية، عدد مزدوج (الرابع والخامس)، ديدكتيك النص ودرس الأدب، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2019.
- يقطين، سعيد، قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط1، 1997.